وفي الرسالة عينها، جاء «ان الدول العربية لا تستطيع عزل نفسها عن أي عدوان يشنّ ضد احداها، وذلك لسبب واضح وهو ان العدوان على واحدة منها سوف يهدّد الاخرى بنفس المخاطر والمصير»[١٨].

هكذا تركّزت خطابات عبدالناصر، بعد العدوان الثلاثي، وكذلك، تحركاته الدبلوماسية على الصعيد الدولي، بشكل واضح، على العمل لدرء الخطر المحدق بعموم العالم العربي بسبب الطبيعة العدوانية لدولة اسرائيل. وجاء تتابع التطورات العسكرية والسياسية، في المنطقة، ليؤكد له، أكثر فأكثر، أن اسرائيل والصهيونية هما الأداتان الرئيستان لتحقيق مآرب الغرب الاستعماري. فقد تضمّن غير خطاب له، وصفاً لاسرائيل بأنها «الخنجر المغروس في قلب الامة العربية». لذا وجد عبدالناصر في الدعوة الى الوحدة العربية خير وسيلة لافشال المخططات المرسومة للمنطقة. وكان من نتيجة العدوان الثلاثي على مصر ان تحوّلت هزيمتها العسكرية الى نصر سياسي أكسبها تأييد العرب وبلدان آسيا وافريقيا والمعسكر الاشتراكي. وهذا، في الواقع، ما مهّد لعبدالناصر تبوأ مركز الزعيم بلا منازع بين العرب والفلسطينيين منهم على وجه الخصوص. وقد وفّر هذا الموقع الاعتباري لعبدالناصر جوّاً ملائماً «لاجتراح» سياسته الداعية الى الوحدة العربية، بشكل اتخذ، في غالب الاحيان، طابع المناوأة والتحدي للانظمة المتحالفة مع الغرب في عقر دارها، مستنداً في ذلك، الى شعبيته التي طبقت آفاق بلاد العرب. وقد توّجت دعوته بنجاح أولي، عندما اتفقت مصر وسوريا على اعلان الوحدة بينهما في شباط (فبراير) ١٩٥٨ تحت اسم «الجمهورية العربية المتحدة». ولاقت هذه الخطوة الوحدوية صدى واسعاً لدى الجماهير العربية من المحيط الى الخليج. وكان لها صدى متميّزاً في الاقطار العربية المحيطة بفلسطين، والتي كانت، قبل فترة وجيزة، تناضل ضد الاحلاف الغربية كحلف بغداد ومشروع تمبلر في الاردن.

على ان الوحدة بين مصر وسوريا لم يكتب لها النجاح، لأنها استندت الى الدعم الشعبي العاطفي دون البناء المؤسساتي اللازم لاستمرارها وتعميمها. كما ان التصور النظري والممارسة العملية لتجربة الوحدة بين القطرين لم يأخذا في عين الاعتبار الواقع الناتج عن التجزئة، الذي كان ترسّخ، الى حدّ ما، في كل قطر على حدة، ممّا وفّر أرضية للشقاق على أساس قطري بين المؤسستين الحاكمتين في مصر وسوريا. فضلاً عن ان هذه الوحدة حوربت من الانظمة العربية المتناغمة في سياساتها مع الغرب، مما فرض على عبدالناصر مواصلة دور الحاكم والداعية الثوري بهدف استقطاب الدعم الشعبي العربي لسياساته العربية في مواجهة الانظمة المتعارضة معه.

رجل الدولة والثورة

يلحظ الدارس لفترة الخمسينات ومطلع الستينات ان القادة في آسيا وافريقيا أمثال محمد مصدّق وجمال عبدالناصر وأحمد سوكارنو وكوامو نكروما وجواهر لال نهرو، تميّزا بدور فريد اتسم بثنائية الجمع بين دور رجل الدولة وشخصية الداعية الثوري. ومردّ ذلك، على الارجح، الى ان هؤلاء القادة من رجالات العالم الثالث المتميزين، وجدوا أنفسهم، في بداية الاستقلال الوطني لبلادهم، أمام محاولات غريبة للالتفاف على السيادة الوطنية وهي في المهد. لذا لاحظنا ان هؤلاء القادة خاطبوا جماهيرهم بلغة الثورة والخطاب الثوري، في وقت كان عليهم ان يتعاملوا مع واقع متطلبات الدولة والحسابات السياسية الباردة بعيداً من لغة الحماس والخطابة. وهذه الحال (أي حال الجمع بين دور رجل الدولة وشخصية الداعية الثوري)، لا نظير لها في واقع رجال الدولة في دول المركز